انطباعات عامة حول جولة في الولايات المتحدة

١ ـ بدات القضية الى حد ما تقسم الاميركيين حولها وبقدر ما يصبح هذا الانقسام حول القضية الفلسطينية حادا وعميقا ومحوريا في الحياة الاميركية ، تكون قضيتنا قد خطت في الولايات المتحدة . ويكاد يكون المعيار في قياس موقف اي امريكي على الصعيد السياسي ، الان، هو قضية فيتنام . قل لي اين تقف من فيتنام اقل لك من انت (على الصعيد السياسي) وعندما تصبح قضية فلسطين بنفس الوضع تكون قد بلغت شاطىء السلامة . كما بدات الان فئات قليلة نسبيا من الاميركيين تعتمد هذا المقياس . تقيس تقدمية بعضها البعض بمدى التزامهما بتأييد قضية فلسطين وقضية الكفاح المسلح بنوع خاص . وحتى الان ما يزال هذا الامر داخل دائرة الفئات المتسيسة الشديدة التسيس من الطلاب والشباب . ولكن احيانا يتعدى الوضع ذلك . فقد صدف لي ان ذهبت مع حسن عبدالله ممثل مكتب الجامعة في شيكاغو الى مدرسة ثانوية حيث كان مدعوا لالقاء محاضرة عن فلسطين . وكانت مفاجاة كبيرة لي ان ارى طلابا اميركيين في مدرسة ثانوية يهتمون بالقضية الفلسطينية بل ينقسمون فيما بينهم على اساسها . وقلت في نفسي اذا لقد انقضى العهد الذي كان الطالب الاميركي لا يعرف فيه شيئا عن قضية فلسطين الا من خلال التوراة .

٢ ـ شيء ايجابي اخر ، هو انتهاء المرحلة التي كان فيها النشاط العربي مقتصرا على الموظفين في السفارات وفي جامعة الدول العربية ومكاتب الاعلام الرسمية البحتة والدبلوماسية ، وبدات مرحلة اخرى هي مرحلة النشاط السياسي والايديولوجي الممثل بنشاط الشباب العرب من خريجين وطلبة . هذه المرحلة الجديدة مرحلة متقدمة عن سابقتها ، فالاعلام والدبلوماسية ليسا بقادرين وحدهما مهما بلغا من الجودة ، على تشكيل تيار اميركي شعبي ملتزم بتأييد قضية التحرير الفلسطيني ولا بد من نشاط سياسي عقائدي عربي لتحقيق هذه الغاية . وهذا ما بداه الشباب في اميركا اليوم .

قد يقال ان الفئات التي تتجاوب مع العرب سياسيا وايديولوجيا في نشاط من هذا النوع، هي فئات ضيقة ومحصورة . هذا صحيح ، ولكن هذه الفئات ، على ضيقها ومحدوديتها ، تستطيع ان تطلق شعارات وافكارا وتخلق اتجاهات في دوائر اوسع منها بكثير . ان هذه الفئات نفسها كانت كافية مثلا ان تخلق انعطافا كبيرا داخل الشعب الاميركي في قضية فيتنام مثلا . وهل نستطيع ان ننسى اثر هذه الفئات في منع جونسون نفسه من التجديد ؟ وهل نستطيع ان ننكر اثرها في ابعاد شخص مثل جولدووتر عن مركز الرئاسة ؟ ان هذه الفئات قد تكون بعيدة جدا عن تسلم الحكم في الولايات المتحدة ، ولكن هذا لا يعني ان هذه الفئات عاجزة عن ايصال اي سياسي الى البيت الابيض.

٣ ـ هذا على الصعيد الايجابي اما على الصعيد السلبي فهناك ملاحظة هامة وهي : ان كثيرا من الجهد السياسي العقائدي الذي يطبع المرحلة الجديدة من النشاط العربي في الولايات المتحدة يتخذ ، مع الاسف ، طابعا انقساميا . فقضيتنا في فلسطين لا تطرح على الرأي العام الاميركي ولا على الفئات التقدمية الاميركية كقضية تحرر وطني ويؤخذ لها التأييد على هذا الاساس . بل انها كثيرا ما تطرح على انها قضية هذه المنظمة من منظمات العمل الفدائي او تلك فبعض الطلاب العرب يغالون في ابراز فروق الراي والاتجاهات والمنطلقات بين المنظمات بشكل يحرف نظرة الاميركي نحو قضيتنا ويضيع اللب والشيء الجوهري في دقائق الخلافات . وهكذا كثيرا ما يكون الصديق الاميركي للقضية ليس الا الشخص الاكثر علما من غيره بمثالب الفئات العربية المختلفة وزلات هذه او تلك من المنظمات ، بل ان صداقة العرب لا تفي احيانا الا التفرغ لاحصاء هفوات المقاومة الفلسطينية والعمل الفلسطيني بنوع عام . وهذا الامر لا ينطبق لا كله ولا بعضه ، على قضية نصرة فيتنام مثلا حيث القضية مطروحة على الاميركيين من تقدميين وليبراليين على اساس انها حركة تحرر وطني ولا شيء غير ذلك مما حفظ لها حرمة وجاذبية في عين القريب والبعيد . واذا علمنا اي انقسامية يعيشها اليسار الاميركي فيما بينه ، ادركنا خطر الطرح الانقسامي لقضية فلسطين ، اذ يصبح الموضوع في حالة تدرر متصاعد . فالانقسامية داخل اليسار الاميركي تغذى